

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[35] السكارى والمغرورين، لأنَّ (المترف) من مادة (التَرَفُّهُ) أي كثرة النعمة، ولما كان كثير من المنعمين يغرقون في الشهوات والأهواء، فإنَّ كلمة "المترف" تعني مَن طغى بالنعمة وغرق في سكرتها وأصبح مغروراً⁽¹⁾، ومصادق ذلك - على الأغلب - الملوك والجبابرة والأثرياء المستكبرون والأنانيون. نعم، هؤلاء هم الذين تتعرض مصالحهم وأنانيتهم للفناء بثورة الأنبياء، ويحرق الخطر بمنافعهم وثرواتهم اللامشروعة، ويتحرَّر المستضعفون من مخالبتهم، ولهذا كانوا يسعون إلى تخدير الناس وإبقائهم جهلاء بمختلف الأساليب والحيل. وأغلب فساد الدنيا ينبع من هؤلاء المترفين الذين يتواجدون في أماكن الظلم والتعدي والمعصية والفساد والرديلة. وجدير بالذكر، أنَّنَا قرأنا في الآية السابقة أن هؤلاء كانوا يقولون: (إنَّنا على آثارهم مهتدون) وهنا يذكر القرآن أنَّهم يقولون: (وإنَّا على آثارهم مقتدون) وبالرغم من أن التعبيرين يعودان إلى معنى واحد في الحقيقة، إلاَّ أنَّ التعبير الأوَّل إشارة إلى دعوى أحقيَّة مذهب الآباء، والتعبير الثَّاني إشارة إلى إصرار هؤلاء وثباتهم على اتباع الآباء والإِفْتدَاء بهم. وعلى أية حال فإنَّ هذه الآية نوع من التسليّة لخطر النِّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين ليعلموا أن ذرائع المشركين واستدلالاتهم هذه ليست بالشيء الجديد، إذ أنَّ هذا الطريق سلكه كل المنحرفين الضالين على مر التاريخ. وتبيِّن الآية التالية جواب الأنبياء السابقين على حجج هؤلاء المشركين والمنحرفين بوضوح تام، فتقول: (قال أو لو جئكم بأهدى ممَّا وجدتم عليه آباءكم) (2)؟

1 - نقرأ في لسان العرب: أترفته النعمة، أي: أطغته. 2 - لهذه الجملة محذوف تقديره: أتبعون آباءكم ولو جئكم بدين أهدى من دين آبائكم. تفسير الكشاف المراغي، القرطبي، وروح المعاني.